نحو دور جديد للمرأة المسلمة في الاستراتيجيات الدعوية

د. رقية بنت محمد المحارب

المشرفة العامة على مؤسسة «لها أون لاين» والأستاذ المساعد بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

ملخص الدراسة

لم تتجه الآيات والأحاديث التي وردت في وجوب الدعوة إلى الله تعالى ومشروعيتها للرجال دون النساء، بل جاءت في سياق العموم من غير تفريق، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله جل وعلا: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ويفهم من ذلك الشراكة بينهما في هذا العمل الذي أوجبه الله على المؤمنين كافة، رجالاً ونساءً، وقد بيَّنه تعالى في وصفه للمؤمنين والمؤمنات بقوله: ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٧١].

ولقد خاطب الله عز وجل المرأة بما خاطب به الرجل، إلا أنه تعالى خصَّها بتكاليف دونه تتوازى في الفضل والأجر، ويدخل في ذلك الدعوة إلى الله بمفهوم التبليغ والاحتساب على ذلك؛ لأن المرأة قادرة على تعلم العلم وتعليمه، وتبليغه بالوسائل المتعددة، دون أن تحمِّل نفسها ما لا طاقة لها به، خاصة مع انتشار التعليم النظامي، وتوفر وسائل التقنية الحديثة، وخروج النساء من بيوتهن حتى صار ذلك عرفًا، فاحتاجت المرأة إلى خطاب أختها ونصحها، وإصلاحها بكل وسائل الإصلاح، واحتاج الناس مع الاتساع في خروج النساء -حتى صار أصلاً- إلى دعوة مكثفة ومنظمة، للتبصير بأمور الدين، خاصة مع كثرة الشبهات والشهوات.

لذا فقد باتت الحاجة ملحّة الآن إلى وضع استراتيجية متكاملة شاملة للعمل الدعوي النسائي في العالم الإسلامي، تحافظ على المكتسبات، وتدرس المستقبل. ولا ينبغي للحركات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة أن تُغْفِل دور المرأة عند رسم خرائط الاستراتيجيات الدعوية. بهدف إحداث نقلة نوعية في العمل المؤسسي النسائي، والتي تؤكد بشائرها بأنها ستُؤتي ثمارها خلال السنوات القليلة القادمة -بإذن الله تعالى- بشرط دعمها وتقويتها ورعايتها.

نحو دور جديد للمرأة المسلمة في الاستراتيجيات الدعوية

د. رقية بنت محمد المحارب

المشرفة العامة على مؤسسة «لها أون لاين» والأستاذ المساعد بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

تعيش الأمة الإســـلامية اليوم حالة من الشـــتات والفوضى في الوقت الذي تتعرض فيه لمخططات ومؤامرات وُضعت على أســـس علمية، واستراتيجيات معلنة صادرة من قِبَل مراكز بحثية قوية مدعومة من قبل مؤسسات، وتكتلات إقليمية ودولية، تهدف إلى القضاء على أي محاولة للنهضة، في أي مجال سواء كان سياسيًّا أو فكريًّا أو تقنيًّا أو اجتماعيًّا، كما أنها متجهة لكل فئات المجتمع دون استثناء.

والمرأة كونها تمثل مكونًا رئيسًـــا من مكونات المجتمع فلا غرابـــة إن كانت مركز الاهتمام في الجهود المبذولة لسلخ الأمة عن هويتها، وتأتي استراتيجيات تمكين المرأة والمؤتمرات الدولية الخاصة بالمرأة والسكان لتعبِّر عن إصرار غير مسبوق نحو تحقيق هذه الأهداف.

وعلـــى ضوء ذلك فإن الواجب الشـــرعي يحتِّم القيام بواجب البيان والنصـــح بمنهجية علمية، ويدعو لتكاتف الجهود لوضع رؤية مســـتقبلية للدعوة الإسلامية في ظل هذا التكالب الأممي الصارخ الذي لا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة.

وحتى يكون هذا البيان والنصح مؤثرًا وفعالاً فلا بد من انطلاقه من خطة استراتيجية متكاملة، من فوائدها أنها تنقلنا من متابعة الأخطاء والترصد لها فحسب إلى إطار يكون فيه البناء هو الأصل.

وهذا البحث يتناول دور المرأة المسلمة في الاستراتيجيات الدعوية، ويتناول تحديداً المحاور التالية:

- الموقف الشرعي من العمل الدعوى للمرأة المسلمة.
- واقع المرأة في استراتيجيات الدعوة الإسلامية.
- أبرز التحديات التي تعيق الدور الدعوي للمرأة في العالم الإسلامي.. الواقع، وسبل المعالجة.
- وسائل زيادة فرص نجاح المرأة المسلمة دعويًّا لخدمة دينها وأمتها.

الموقف الشرعي من العمل الدعوي للمرأة المسلمة:

الآيـــات والأحاديث التي وردت في وجوب الدعوة ومشـــروعيتها لم تتجه للرجال دون النســـاء بل جاءت في ســـياق العموم من غير تفريق، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله جل وعلا: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال جل جلاله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

والولاية تكون في المحبة والإخاء، والنصح والنصرة، ويفهم منه الشراكة في هذا العمل الذي أوجبه الله عليهم، وقد بيَّنه تعالى بقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ دالّ على الدعوة، بل إن ذلك أصلها ومخها وعصبها.

كما أن الله عز وجل خاطب المرأة بما خاطب به الرجل، إلا أنه تعالى خصها بتكاليف دونه تتوازى في الفضل والأجر، كما دل عليه حديث أسماء بنت يزيد ابن السكن رضي الله عنها، أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي إني وافدة النساء إليك، واعلم -نفسي لك الفداء- أما إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي: إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فُضِّلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًا أو معتمرًا أو مرابطًا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ قال: فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟» فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن المرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها، ثم قال لها: «انصرفي أيتها المرأة وأعلمي مَن خلفك من النساء أن حُسْن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله». قال: فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارًا.(١)

ويدخل في ذلك الدعوة إلى الله بمفهوم التبليغ والاحتساب على ذلك، إلا أن المرأة قادرة على تعلم العلم وتعليمه، وتبليغه بالوسائل المتعددة، دون أن تحمِّل نفسها ما لا طاقة لها به، خاصة مع انتشار التعليم النظامي، وتوفر وسائل التقنية الحديثة، وخروج النساء من بيوتهن حتى صار ذلك عرفًا، فاحتاجت المرأة إلى خطاب أختها ونصحها، وإصلاحها بكل وسائل الإصلاح، واحتاج الناس مع الاتساع في خروج النساء -حتى صار أصلاً- إلى دعوة مكثفة ومنظمة، للتبصير بأمور الدين، خاصة مع كثرة الشبهات والشهوات.

ولسائل أن يقول: ألا يكفي الرجال لمخاطبة المرأة، خاصة مع كثرة القنوات المحافظة، ومواقع الشبكة العنكبوتية، وتوفر الكتب وغيرها؟! لماذا الحاجة للمرأة للقيام بذلك؟

والجواب أن يقال: إن المرأة عندما تدعو إلى الله عز وجل، وتنشر العلم الشرعي، فإنما هي تنفع نفسها في المقام الأول، وتستجيب لأمر ربها بتبليغ الدين، هذا من

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٢٠، رقم ٨٧٤٣) ، وابن عساكر (٧/٣٦٣).

جهة، ومن جهة أخرى، فإن المرأة حين تسمع للمرأة، فإن مجال المناقشة أوسع، والتعبير عن الأفكار والمواقف أسهل، وربما احتاجت سائلة أن تُسِرّ بأمر تستحي من مصارحة الرجل به، وأكبر دليل على ذلك ما نراه من إقبال كبير على المحاضرات والندوات النسائية.

وقيام النساء بأدوار قيادية في المجالات التربوية والاجتماعية والتعليمية يدخل في مفهوم الدعوة إلى الله، إذا وُجدت النية الصالحة، ولذا فإن القول بأن المرأة ليست معنية بالدعوة إلى الله، وأن دورها محصور في أدوار محددة يفتقر إلى فهم الطبيعة البشرية.

واقع المرأة في استراتيجيات الدعوة الإسلامية:

لا يُغفل دور المرأة في الدعوة إلى الله عند رسم استراتيجيات الدعوة الإسلامية لدى غالب الحركات الإسلامية، ولذا نرى نجاحًا طيبًا للخطط الموضوعة إلى حد كبير في تخريج جيل من القياديات وجدن أنفسهن أمام فرص دعوية لا حصر لها.

واقع الحال أن هناك نجاحات كبيرة لا تُنكَر حققتها المرأة في البلدان الإسلامية على المستوى الشعبي، والدليل على ذلك ما نلمسه من درجة العمق في التفكير، والوعي، وإدراك للمخططات لدى فئة معتبرة من النساء، وما يتحقق من فشل ذريع للمشروع التغريبي الذي يدعم مِن قِبل حكومات ومؤسسات، وبالقوة العسكرية أحيانًا.

وفي الوقت الذي تعددت فيه فرص عمل المرأة، وما تبعه من إنشاء المؤسسات النسائية الرسمية والأهلية، وانتشار التعليم بكافة مستوياته، وكثرة المنابر الإعلامية من صحف ومجلات وقنوات فضائية، ومواقع إلكترونية وغيرها، فقد نتج عن هذا بروز تغيرات اجتماعية واقتصادية حتَّمت تطورًا في التفكير والأساليب لمواكبة المستجدات.

ولا بد من الاعتراف بأن ظروف تشكل هذا الجيل النسائي، الذي وجد نفسه في رأس الهرم دون مؤهلات كافية، أوجد فجوة كبيرة بين الواقع والمأمول، وكوَّن شعورًا اتسم بالتشاؤم والقلق من عدم القدرة على القيام بالمبادرات الضرورية، لملء الفراغ وسدّ الثغرات. وانعقدت الندوات واللقاءات التي تبحث عن دور للمرأة، وتتساءل عن سر الغياب الذي كان مردّه لضخامة المتغيرات، وانكشاف المجتمعات مع تطور وسائل الاتصال.

من هنا بدأ الحديث مرة أخرى عن مدى تأهيل المرأة وقدرتها على القيام بتأسيس المشروعات، وإدارتها ووضع الخطط، وسلامة البرامج التي وُضعت، وأدى ما يُشاهَد من اختراق في المنظومة الفكرية والاجتماعية والتربوية في الأوساط النسائية إلى التساؤل عن غياب المرأة. وواقع الحال أن هناك نجاحات كبيرة لا تُنكَر حققتها المرأة في البلدان الإسلامية على المستوى الشعبي، والدليل على ذلك ما نلمسه من درجة العمق في التفكير، والوعي، وإدراك للمخططات لدى فئة معتبرة من النساء، وما يتحقق من فشل ذريع للمشروع التغريبي الذي يدعم مِن قِبل حكومات ومؤسسات، وبالقوة العسكرية أحيانًا.

كما أن ما نراه من تأييد سواد الناس لإنشاء المؤسسات المتخصصة في بناء القيم والأخلاق، وما يتحقق من رفض لوجود المنكرات هنا أو هناك دليل ظاهر على بقاء فطرة الناس الطيبة وحبّهم لدينهم، ومع ذلك فإن الإمكانيات المتوفرة للمسلمين تفوق ما هو متحقق من نجاحات، الأمر الذي يحتّم التفكير بجدية في استثمار الفرص، ووضع الاستراتيجيات الجديدة التي تستحضر الواقع وتقرأ المستقبل.

إن شيوع كثير من المفاهيم مثل (الخطة الاستراتيجية – الجودة – الأهداف – الرؤية والرسالة – معايير التقييم – بناء المناهج- أسس التفكير السليم – المهارات الفردية – العمل المؤسسي – العمل الجماعي- الدراسات المستقبلية -.. إلخ) لدى بعض قيادات العمل الدعوي، دليل آخر على النهضة الحضارية التي تعيشها المرأة المسلمة بشكل عام، والنخبة المثقفة بشكل خاص،

وهذا أمر وإن لم يكن قد وصل بعدُ إلى المستوى المأمول إلا أنه يبشر بالخير، ويشي بإحداث نقلة في العمل المؤسسي النسائي، سنشهد ثمارها خلال السنوات القادمة بإذن الله بشرط دعمها وتقويتها.

واليوم نرى أن مشاركة المرأة في استراتيجيات الدعوة الإسلامية تختلف باختلاف الميادين واختلاف البلدان، على تفاوت في مستوى المشاركة بحسب الظروف الثقافية والسياسية والاجتماعية، إلا أنه من الملاحظ تطور مشاركة المرأة في الميدان الدعوي بشكل عام، بسبب الحاجة لمقاومة الفكر التغريبي، ووجود المرأة في ميادين العمل بصورة أكبر.

ومن صور هذه المشاركة في وضع وتنفيذ الاستراتيجيات ما يتعلق بالعمل النسائي الدعوي في فلسطين، ولست بصدد الحديث عن تاريخ العمل النسائي الفلسطيني، لكنني أعرض لملامح عامة، تدل على أن هناك تطورًا كبيرًا في المستوى الفكري لدى المرأة الداعية الفلسطينية، اقتبسته من بحث حول غزة، وهي إحدى أهم المناطق في فلسطين، وأظن أن هناك جهودًا كبيرة مماثلة في بلاد أخرى كمصر والمغرب، والسودان وماليزيا، وتركيا وغيرها لم تسعفني المراجع المتوفرة لدي من ذكرها هنا:

ففي فلسطين نجد أن المرأة تشارك بفاعلية في لجان الوعظ والإرشاد، والقيام بإنشاء المؤسسات الدعوية، وتدرس في الجامعة الإسلامية في غزة اليوم الآلاف من الطالبات اللاتي اخترن التخصصات الدعوية، وهذا عدد فاق كل التصورات، ولأول مرة في تاريخ فلسطين يكون هناك عدد من الأخوات الحاصلات على معدلات ممتازة في نتيجة الثانوية العامة يخترن قسم أصول الدين، ومن الإنجازات الكبيرة إنشاء مشروع لإعداد الداعيات، بالإضافة إلى تنفيذ العديد من الدورات المكثفة في التلاوة والتجويد، ومن الأمور الاستراتيجية قيام وزارة الأوقاف بافتتاح دائرة خاصة للوعظ والإرشاد، وأخرى للقرآن الكريم تختص بتحفيظ القرآن الكريم وتلاوته، وكل ما يتعلق بعلوم القرآن، وأنشئ ما يسمى بـ«ديوان الحُفَّاظ» الذي يعمل على تنشيط الأخوات الحافظات للقرآن الكريم، وتثبيت القرآن في قلوبهن، وما يتبع ذلك من برامج تربوية من خلال المخيمات الصيفية في العطلة لحفظ القرآن الكريم والتربية على آدابه، وتمتد هذه المخيمات لتشمل اليوم كله لكافة المستويات.

كما أن مركز القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية وجد رواجًا كبيرًا على مستوى المساجد في كل منطقة من المناطق في غزة عبر المحافظات الخمس، وتم تخريج داعيات بأعداد طيبة ومستويات ممتازة، وكن يتلقين العلم على أيدي علماء متخصصين في هذا المجال، وخاصة مجال فن التعامل مع الناس، وكيف ندعو الناس.(١)

ومثال آخر من المملكة العربية السعودية؛ حيث توجد كثير من الأنشطة المتعددة الموجهة للمرأة، ويمكن القول بأن المرأة صار معترفًا بها داخل المؤسسات الدعوية، كمخطِّطة وقائدة، في انتقال نوعي من دور التنفيذ فحسب. كما أن الندوات والمؤتمرات الخاصة بالدعوة لا يمكن اعتبارها مكتملة إلا بحضور المرأة، كمشاركة بفكرها وخبرتها وعلمها، وهذا يدل على دور بارز منتظر منها، عبر إدخالها كعنصر مؤسس وفاعل داخل الأطر الاستراتيجية في جميع المجالات، بل بدا جليًّا عناية الدعاة والعلماء والمثقفين بدور المرأة الفاعل في المجتمع من خلال المحاضرات والندوات والكتب والمقالات، وقامت جمعيات متخصصة في رسم الاستراتيجية الدعوية، خاصة فيما يتعلق بجانب التنسيق بين القطاعات النسوية العاملة، كما أقيمت مراكز بحوث متخصصة في الشأن النسائي.

وتمثل مكاتب الدعوة وتوعية الجاليات، والجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن والجمعيات الإغاثية والخدمات الاجتماعية كجمعيات الأسرة ومراكز الاستشارات، والجامعات والمدارس أبرز منابر الدعوة النسائية، والمنتظر قيام وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بدور رائد في مجال

(١) للاستزادة انظر: واقع المرأة الداعية في فلسطين، حوار مع د. صبحي رشيد اليازجي على الرابط التالي:
http://www.wdawah.com/contents/23343

تعزيز حضور المرأة في المجال الدعوي، وأن يتم تحويل هذه الجهود إلى مؤسسات وتقويتها، وإنشاء المزيد من المعاهد العلمية المتخصصة في تأهيل الداعيات، وكذلك يُطلَب من الجامعات النظر بجدية في إنشاء تخصصات لتخريج المتخصصات في القضايا النسوية القادرات على المشاركة الإيجابية الواعية.

ومع أن الكتابة حول الاستراتيجيات الدعوية في الأوساط الرجالية والنسائية لا ترقى إلى المستوى المأمول، إلا أن الحاجة ملحّة الآن إلى وضع استراتيجية متكاملة شاملة للعمل الدعوي النسائي في العالم الإسلامي تحافظ على المكتسبات، وتدرس المستقبل؛ لأن وضع الاستراتيجيات الدعوية عانى من التجاهل لفترة طويلة من قِبَل المؤسسات الرسمية والأهلية، ولا توجد -بحسب ما توفر لي من معلومات- استراتيجية وضعتها هيئة أو منظمة أو دولة إسلامية تُعنَى بالعمل الدعوي، وأخذت على عاتقها تنفيذها وفق مدة زمنية على مستوى الأمة، وأعني بذلك أهل السنة، إلا أن هناك اجتهادات يمكن اعتبارها نواة لوضع استراتيجية دعوية نسائية.

التحديات التي تعيق الدور الدعوي للمرأة في العالم الإسلامي وكيف يمكن التغلب على تلك المعوقات؟

في سياق العمل نحو كتابة استراتيجية دعوية نسائية؛ فإنه يلزم بحث التحديات التي تواجه المرأة الداعية، وسيكون الحديث متجهًا للعقبات التي يواجهها الجنس النسائي بشكل عام في مجتمعاتنا:

أولاً: ضعف العناية بالدور النسائي الدعوي على المستوى الرسمي:

لقد تطور الوعي لدى الجمعيات الدعوية والمؤسسات العلمية والفكرية، وبدأت بإشراك المرأة في التخطيط

ووضع الاستراتيجيات، واتجهت كثير من المؤسسات الخاصة إلى استشارة المرأة، وأوكلت لها أدوارًا كبيرة ومؤثرة، إلا أن هذا الدور بقي محدودًا في الجانب الرسمي؛ لأسباب تتعلق تارة بمكافحة ما يسمى بالإرهاب، وأخرى بعوامل فكرية، ففي بعض الدول لا يوجد في وزارات الشئون الإسلامية المعنية بشأن الدعوة موظفة رسمية تعمل في المجال الدعوي، أو في مجال الاستشارة في الشأن النسائي، وبقي دورها محصورًا في إعطاء الموافقات والتصاريح للأنشطة النسائية، مع تحديد المأذون لهن بالمشاركة بعدد قليل جدًا، وفق شروط صعبة، فضلاً عن أن كثيرًا من هذه الجهات الرسمية تقوم بدور المثبِّط لأي نشاط توعوي نهضوي؛ حيث يغيب الاهتمام بتنمية مهارات العاملات في مجال الدعوة، ونتج عن ذلك وقوع هذه المناشط الدعوية رهينة اجتهادات فردية أو مؤسسية تطوعية، وهذا يُبرِز حجم التحدي؛ إذ تفتقد الجهات غير الرسمية للقوة والدعم والخبرة.

إن تطور العمل الدعوي النسائي تواجهه صعوبات التخطيط المتخصص، والتنفيذ المستمر، فأغلب الأعمال الدعوية النسائية تعتمد على الجهود الفردية، حتى ولو تلبست بإطار مؤسسي، ولنضرب مثلاً على المقومات والإمكانات المتوفرة للمنصرين لندرك الفرق الهائل في المقدرات، وما ينتجه هذا من آثار، فقد أجرت مجلة الأسرة في عددها (١٠٤) مقابلة مع أحد القساوسة الذين منَّ الله عليهم بالإسلام ذكر فيها مقارنة بين نشاط التنصير ونشاط الدعوة الإسلامية جاء في هذه المقارنة معلومات مهمة انظرها في الجدول المقابل.

ثانيًا: تعدد الأدوار المناطة بالمرأة:

إن المهمة التي تقوم بها المرأة في بيتها كبيرة وأساسية في المجتمع، فهي منتجة ومربية ومتبعلة، ومسئولة مسئولية عامة عن بيتها، والخروج للدعوة والانشغال بها قد يتعارض مع واجباتها. وإذا لم تجد الداعية وليًّا متفهمًا لمهمتها، معينًا لها، انشغلت بأمور ليست ذات أولوية لمثل مستواها؛ لذا تتعثر بعض المؤهَّلات للدعوة بعد فترة وجيزة من زواجها وإنجابها، ولا يعني هذا أننا نطالب المرأة الداعية أن تُعرض عن سُنة الله بحجة الدعوة، ولكننا نحثّ الدعاة والمثقفين أن ينتقوا لأنفسهم النساء المؤهلات أو المناسبات للتأهيل الدعوي، كما أن على الرجل المعنِيّ بشأن الدعوة أن يبذل كل سبيل لتأهيل زوجته أو أخته، أو ابنته للمشاركة الدعوية، ويصبر في سبيل ذلك ويتنازل عن بعض الأمور ليصل للهدف الذي تنشده الأمة من أفرادها.

وجه المقارنة	التنصير	الدعوة الإسلامية
الدعم المادي	دعم الحكومات الغربية ودعم الشركات الكبيرة.	دعم يسير يقوم به أهل الخير في ظل مضايقات كثيرة.
الأوقاف	مباني ضخمة وإيرادات وبدائل الضرائب	أوقاف قليلة جدًا.
الإدارة	إدارات كبيرة وقوية تعتمد على دراسات علمية.	إدارة شخصية غير خاضعة لأي تقييم.
تأهيل الداعية	* منذ طفولته يهيأ للدعوة. * يخضع لدورات علمية عميقة. * يدرس طبيعة الشعب الذي يدعو فيه. * يتكلم ثلاث لغات على الأقل. * يستلم مرتبات ضخمة.	* يرسل بطريقة عفوية. * بعضهم لا يعرف غير اللغة العربية. * لا يعرف كيف يخاطب الشعب. * مرتبات ضئيلة.
شمولية الدعوة	* تنصير وتأهيل للعمل المكتسب وإقامة إذاعة، وإغاثة وعلاج طبي وكليات علمية.	* الاكتفاء بإلقاء المواعظ وتوزيع الكتب وأحيانًا إغاثة ونادرًا علاج.
العلاقات الداخلية	* علاقات مع سفراء الدول الغربية. * علاقات رسمية مع وزارة الداخلية. * علاقات بالإعلام والصحف.	* لا توجد أي علاقات رسمية غالبًا. * تعمل أحيانًا في الخفاء مما يعرضها للإغلاق.
الطاقم الدعوي	طبيب وممرض ومعلم وإدارة مالية وإدارة تموين وسيارات وطائرات .	داعية ومؤن إغاثية.

كما أن من المهم توفير الظروف المناسبة لتمكين المرأة الداعية من القيام بأدوارها المتعددة، ويعني هذا أن المتطلبات المادية والتقنية ينبغي أن تُضَمَّن وثيقة الاستراتيجية الدعوية النسائية، وما يتبع ذلك من قِبَل مؤسسات متخصصة مساندة للمرأة لغرض تسهيل مهمتها، وتوفير جهدها، وعلى سبيل المثال فإن من البرامج المقترحة:

– قيام دُور حضانة خاصة بـأولاد الداعيات تقوم بواجب الإيواء لأيام في بيئـة تربوية جيدة يؤدي إلى تخصيص وقت أكثر للمهمة الدعوية.

– قيـام مؤسسـات الأعمـال بتنظيـم الملتقيات والمؤتمرات النسائية .

ثالثًا: الضعف التكويني للمرأة يحصرها في جوانب محددة وأعمال محدودة:

حينما خلق الله المرأة أهَّلها لمهمتها الرئيسة بجسد عاطفي غضّ، ولسان أقل فصاحة وأضعف في الخطاب وتحمل المشـاق، مع أنها أقدر على تحمل الألم، وذلك لتكون مناسـبة للإنجاب والرضـاع والتربية، والقول الذي يـروِّج له دعاة التغريب بأن المرأة تتسـاوى مع الرجل في القوة، وأن ضعفها نتاج التربية الاجتماعية يفتقر إلى العلمية.

ولا شـك أن الدعوة ضـرب من الجهـاد، تحتاج إلى صبر وتركيز في طلـب العلم، وطول اجتهاد في العبـادة، كما تحتاج بعض المواقف لقـوة في القلب، وصبر على المخالف، وتحمـل للتبعات العاطفية التي يفرضها الوقوف ضد اتجاه فكري، وهذا أمر ليس من السهل على المرأة القيام به، دون مساعدة من أطراف أخرى، وقد يتطلب العمل الدعوي سفرًا وطول غياب عن المنـزل، وهذا لا يتأتى للمـرأة على كل حال، بل تحتاج المرأة الداعية لمن يلازمها في السفر، والالتزام بالأحكام الشـرعية في السـفر يعني بذل مزيد من الجهـد وتحملاً للصعاب، كما أنهـا ملتزمة بحجابها مبتعدة عن مواطن الاختلاط، فبقيت بعض المجالات غير مناسـبة لها فهي لا تظهر في القنوات، وقل أن تنظم المؤتمرات الدولية.

وليسـت تلك المحدودية عيبًا ولا نقصًا، وإنما هي كمـال؛ لأنها ملتزمـة بأمر ربها، وربمـا يطلق على هذا أنه نقص مجـازًا إذا قورن بمجالات الدعاة من الرجال، فهي أقل من حيث المقارنة، وإن كانت وحدها قد وافقت المشروع وأبلغت في تحقيق المقصود.

وهـذا الضعف الجِبِلِّـي يعني اتجاه جهـود المرأة الإصلاحية لما يناسـب من الأعمال، وأتفق مع القول الذي يدعو بـأن تركز المرأة جهودها إلى مسـاعدة الأسـر في مجالات مكافحة الفقر والجهل والمرض، فعاطفة المرأة تجعلها أكثر إحساسًـا بالمعاناة، وأقدر على تلمُّس الحاجات. وهـذا الأمر من فهم الطبيعة والخلقة وتضمينه في استراتيجيات الدعوة مهم جدًّا، فإن مـن العبث أن يكون الخطـاب الدعوي معارضًا لمقولات المسـاواة ومفندًا لها في الوقت الذي تفشـل فيه الممارسـات في بيـان هذا الأمـر وتفعيله على مستوى الخطط والبرامج. ومن الظلم أن تُطالَب المرأة بممارسـة الدور ذاته الذي يمارسه الرجل وبالأدوات عينها.

رابعاً: الضغوط العالمية على الحكومات العربية للتوقيع على اتفاقيات تناقض ما تدعو إليه المرأة:

من العقبات الواجـب الاعتراف بها الضغط الهائل على الحكومات من خـلال اللجان التي تراقب وتلوِّح بالعقوبـات إذا لـم يتـم تنفيذ مقررات ما يسـمى بالشـرعية الدولية، وهذا الضغط يتمثل في مقررات جملة من المؤتمرات المكثفـة المعروفة التي منها دون التزام بالشمولية:

١- الاتفاقية الخاصة بالحقوق السياسـية للمرأة والتي صدرت في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٢م.

٢- الاتفاقية بشأن جنسـية المرأة المتزوجة، والتي عرضت للتوقيـع والتصديق بقـرار الجمعية العامة المؤرخ في ٢٩ يناير ١٩٥٦م.

٣- اتفاقية الرضا بالزواج، والحد الأدنى لسن الزواج، وتسـجيل عقود الزواج، والتي عرضتها الجمعية العامة للتوقيع والتصديق بقرارها المؤرخ في ٧ نوفمبر ١٩٦٢م.

٤- العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية في عام ١٩٦٦م.

٥- الإعلان الخاص بالقضاء على التمييز ضد المرأة عام ١٩٦٧م.

٦- الخطة العالمية متعلقة بوضع المرأة على المستوى السياسي والاجتماعي صدرت عن مؤتمر مكسيكو لعقد الأمم المتحدة للمرأة المنعقد تحت شعار (المساواة والتنمية والسلم) عام ١٩٧٥م.

٧- اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، التي اعتمدتها الجمعية العامة وعرضتها للتوقيع والتصديق والانضمام بقرارها المؤرخ في ١٨ ديسمبر ١٩٧٩م.

٨- استراتيجيات نيروبي المرتقبة للنهوض بالمرأة والذي عُقد في كينيا عام ١٩٨٥م.

٩- مؤتمر السكان في بكين عام ١٩٩٥م.

كل هذه المؤتمرات والاتفاقيات وغيرها مما لا يمكن حصره تتعلق بوضع المرأة الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وتهدف إلى تحقيق مبدأ المساواة في مختلف هذه المجالات. كما أنها تنص على الضمانات الكافية لذلك؛ إذ إنها تقر بضرورة اتخاذ التدابير المناسبة (بما في ذلك التدابير التشريعية) للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة.

ومن الإنصاف القول بأن هذه الاتفاقيات فيها ما لا يتعارض ومصلحة المرأة، لكن شرع ربنا كفل ما هو مثله وخيرًا منه، وأما ما فيها من بنود تتناقض مع الشرع فإن عددًا من الدول ألزمت به ولم تلتفت لمعارضته للشريعة، مما أحدث تأثيرًا له زخم وقوة إعلامية في مقابل الجهود الإصلاحية المفتقرة للدعم الرسمي.

هذه المقررات تمثل ضاغطًا لا يُستهان به على صانعي القرار، وتجعل من استحضارها عند رسم الاستراتيجيات أمرًا مهمًا.

وقد تضمنت الوثيقة التي صدرت عن مؤسسة راند عام ٢٠٠٧م وعنوانها (بناء شبكات مسلمة معتدلة) خارطة طريق تهدف إلى إعطاء دور بارز للمرأة في تغيير المجتمع، وفي دورها ضمن الشبكات، ووفقًا لما يذكره التقرير، فالتيار (الإسلامي) المعتدل المقصود هو ذلك التيار الذي:

١- يرى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية.

٢- يؤمن بحرية المرأة في اختيار «الرفيق»، وليس الزوج.

٣- يؤمن بحق الأقليات الدينية في تولي المناصب العليا في الدول ذات الغالبية المسلمة.

٤- يدعم التيارات الليبرالية.

كما يحدد معايير الشركاء الذين سيساعدون على تنفيذ بناء الشبكات (المعتدلة) بحسب ما ورد في النص التالي:

«فيما يتعلق بالشركاء، فمن المهم جدًا أن يتم تشخيص القطاعات الاجتماعية التي يمكن أن تشكل حجر الأساس للشبكات المقترحة، والأولوية في هذا الإطار، يجب أن تُعطَى للأكاديميين والمفكرين المسلمين من الليبراليين والعلمانيين، وعلماء الدين الشباب والمعتدلين، والناشطين الاجتماعيين، والجمعيات النسائية المشاركة في حملة الدفاع عن حقوق المرأة، والكتاب والصحفيين المعتدلين».

أما اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة فتعد من أخطر العقبات التي تواجه المرأة، ذلك أنها صيغت بطريقة خبيثة تُفَسَّر بحسب الإملاء الذي تمارسه اللجان المشكّلة، وتأتي الخطورة من توقيع الدول عليها، ورفض أي تحفظ يتحفظ عليه الموقِّعون.

إن من المهم التنبه إلى الأدوار القادمة للصحافة والجمعيات النسائية، وأنها ستكون المدخل نحو تنفيذ الاستراتيجية التغريبية، من خلال التحكم بتفسير مصلحات مثل (الوسطية) و(التسامح) و(الاعتدال)، وجعلها تعني الاستجابة لمتطلبات العولمة، وإلغاء المعاني الشرعية التي تتنافى مع الانفتاح بمفهومه العالمي الجديد!

من المهم ونحن نبحث وضع استراتيجية للدعوة الإسلامية أن تتضمن برامج مضادة، مثل عقد ندوات

تؤصل المصطلحات وتفسرها، وتبين حقوق المرأة وواجباتها، وتقدم تنبيهًا مستمرًا للأوساط الشبابية خاصة يكشف ارتباط ما يُنشَر في الصحافة بإرادة خارجية لغرض تحقيق أهداف لم تعد سرًا.

خامساً: حداثة عهد الدور الدعوي النسائي وقلة الخبرة:

المتغيرات الكبيرة التي تواجهها مجتمعاتنا تحتاج إلى خبرات وممارسة وأساليب جديدة وأدوات مبتكرة، وهذه تحتاج إلى عقول تبتكرها، وهو ما لا يمكن تحقيقه مع الخبرات القليلة في الصفوف الدعوية النسائية، فالمرأة في المجال الدعوي (المقنن) يعوزها الممارسة وطول الخبرة، والزهد في تتبع خبرات السابقات في هذا المجال، فأنت تجد غالبًا البرامج الدعوية النسائية تبدأ بدون خطط ولا استراتيجيات، ولا اطلاع على تجارب الآخرين، فيكون العمل معرضًا لإخفاقات متكررة، لاسيما في مجال البرامج والأنشطة الميدانية.

سادساً: قلة الموارد النسائية:

وإذا كانت التحديات المالية تطال الدعوة بوجه عام، فإن الدعوة النسائية تكاد تكون معدومة الموارد، فالنساء في الغالب لا يمارسن الأعمال التجارية ذات الدخل العالي فتصبح الموارد لأعمالهن محدودة، مما يبقي العمل الدعوي مرتهنًا بالتطوع، ومرتبطًا به. كما أن اهتمام المرأة بالزينة ينعكس أيضًا في تعاطيها مع المناشط الدعوية فنجد أن منشطًا رجاليًا قد يستغرق إعداده أسبوعًا مثلاً، ويكلف مبلغًا محددًا يحتاج من المرأة أسبوعين وبضعف المبلغ بسبب الحرص على مظاهر الزينة والجمال المصاحب للنشاطات النسائية، فهل نقول: إن هذا العامل نتاج طبيعي لفطرة المرأة ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[الزخرف: ١٨]؟

إذا كانت التحديات المالية تطال الدعوة بوجه عام، فإن الدعوة النسائية تكاد تكون معدومة الموارد، فالنساء في الغالب لا يمارسن الأعمال التجارية ذات الدخل العالي فتصبح الموارد لأعمالهن محدودة، مما يبقي العمل الدعوي مرتهنًا بالتطوع، ومرتبطًا به.

إن إغفال هذه العوامل الفطرية عند وضع الخطط الاستراتيجية، أو النظر إليها بنوع من السخرية، لا يدل على فهم للطبيعة الأنثوية، كما أن عدم الاهتمام بها ينقص من تأثير رسالتنا الدعوية كسبب من أسباب تعثر الخطوات، فإن الاهتمام بعلم نفس المرأة واجب مُلِحّ عند التفكير في التوجه نحوها بالخطاب الدعوي.

سابعاً: الحَيف على المرأة لدى بعض المجتمعات وترسخ العادات القبلية المستندة لغير الشرع:

تواجَه المرأة في بعض المجتمعات بتقاليد تخالف الشريعة، فبعض الأعراف تمنع المرأة من الميراث، وبعضها تمنعها من حرية اختيار الزوج، ويؤدي هذا التطرف إلى تطرف مضاد يرفض الشريعة بحجة وجود هذه القوانين القبلية، ويثور على كل حكم شرعي يخالف الحق الذي يقرره هو، أو الذي تقرره الاتفاقيات الدولية ذات المصدر التشريعي البشري.

إن قيام جمعيات تطالب بحقوق النساء الشرعية يقطع الطريق على من يؤدي وظائف بالوكالة لجهات خارجية تتخذ من هذه المطالب المشروعة لبعض النساء ستارًا لها. ولا نجد مبررًا للسكوت عما تعانيه المرأة من عنف أُسَرِي يقوم به من لا خَلاق لهم من الرجال؛ حيث أضحت هذه الممارسات سببًا للهجوم على المرجعية الشرعية والمسلَّمات الدينية بدعاوى التطور والتحديث ومواكبة العصر.

ثامناً: ضعف التواصل بين الداعيات من النساء في البلاد العربية خاصة:

طبيعة المرأة وارتباطاتها العائلية تجعل من الصعوبة عليها السفر المتكرر الضروري لتوثيق العلاقات بين الداعيات، ولحضور الملتقيات والمؤتمرات العلمية، كما أن ضعف التأهيل التقني للعاملات في المجال الدعوي يقلل من نجاح وسائل التقنية في سدّ هذه الفجوة .

تاسعاً: الهجمة الشرسة على المرأة عبر وسائل الإعلام المتنوعة:

ترى الدكتورة نورة السعد أن التغيير المعرفي من خلال وسائل الإعلام يحدث حينما تقوم تلك الوسائل بتقديم المرأة ضمن (إطار معرفي) مخالف للتكوين المعرفي الذي لدى الجمهور عن دور المرأة؛ فهي ناجحة لأنها متحررة من ضوابط القيم، ومحط الأنظار لأنها استغلت النواحي الجمالية في جسدها، وهي مشهورة لأنه عُرف عنها مقاومة الأعراف والتقاليد..

وتوضح «السعد» بأن عملية التغيير المعرفي هذه تتم عبر عملية طويلة تتنوع فيها جزئيات التكوين المعرفي الجديدة التي يُراد إحلالها بدلاً من المعرفة القديمة، وتعرب عن أسفها لأن بعض وسائل الإعلام السعودية صارت تتحدث باللغة ذاتها، مشيرة إلى أن ٤٠ ألف شركة عابرة للقارات تسيطر على جميع وسائل الإعلام في خمس قارات، وهذه الشركات هي التي تنتج البرامج الإعلامية، وهي تخاطب كل إنسان بما يتفق مع مرجعيته وثقافته.[1]

يكاد الهجوم على التشريعات الإسلامية الخاصة بالمرأة لا يهدأ، سواء من خلال الصحافة أو المسلسلات، وتشويه الحجاب، والتقليل من شأن المرأة من خلال إخراجها لجذب القراء في الصفحات الأخيرة من الصحف اليومية والمجلات والقنوات، وإبراز الحوادث الشاذة التي يتسلق من خلالها العلمانيون للحطّ من قدر المرأة، وإظهارها بالمجني عليها من قبل الإسلاميين الذين يوصفون بالمتشددين.

ويكاد الهجوم على التشريعات الإسلامية الخاصة بالمرأة لا يهدأ، سواء من خلال الصحافة أو المسلسلات، وتشويه الحجاب، والتقليل من شأن المرأة من خلال إخراجها لجذب القراء في الصفحات الأخيرة من الصحف اليومية والمجلات والقنوات، وإبراز الحوادث الشاذة التي يتسلق من خلالها العلمانيون للحطّ من قدر المرأة، وإظهارها بالمجني عليها من قبل الإسلاميين الذين يوصفون بالمتشددين.

كل هذه الضغوط تضع المرأة دائمًا في دوامة ردود الأفعال، وتتسبب في الانصراف عن مشروعات البناء الثقافي والنفسي، وبما أن وقت المرأة محدود وطاقاتها كذلك، فمن الطبيعي أن تساهم هذه الهجمات -التي لم تهدأ منذ أكثر من قرن- في إضعاف البنية المؤسسية للمشروع الدعوي النسائي، ووقوعه في أزمة كبيرة، تحتاج إلى وقفة طويلة لوضع الحلول التي تراعي الظروف مجتمعة.

إن تضمين استراتجيات الدعوة النسائية ضرورةَ إنشاء المؤسسات الإعلامية المتخصصة يُتيح توزيع الطاقات، والتركيز على مشروعات البناء.

وسائل زيادة فرص نجاح المرأة المسلمة دعويًّا لخدمة دينها وأمتها

سبق إيراد جملة من التحديات التي تواجه المرأة الداعية، وبعض المقترحات التي تساعد على التخفيف منها، وفي سياق وضع استراتيجية للتخفيف من حدتها؛ فإن من المهم استحضار أننا هنا ندير هذه الأمور استراتيجيًّا، بمعنى وضع الرؤى المستقبلية للدعوة النسائية، وتحديد الرسالة والأهداف، وبيان أبعاد العلاقات المتوقعة بينها وبين بيئتها، ومن ذلك ضرورة دراسة الفرص والمخاطر المحيطة بها، ونقاط القوة والضعف، وكل هذا يعتبر تمهيدًا وأساسًا لاتخاذ القرارات الاستراتيجية المناسبة، بما تشمله من معايير التقويم والقياس والجودة.

وهنا نستعرض بعضاً من الفرص التي ستساعد -بإذن الله- في تصور الحل المنشود:

١- تثقيف المرأة ورفع مستواها العلمي:

إن إنشاء المعاهد العلمية الشرعية المتخصصة في تأهيل الداعيات خطوة مهمة نحو زيادة فرص النجاح الدعوي؛ لأن هذه المعاهد توفر الاحتكاك بخبرات

(١) محاضرة للكاتبة د. نورة السعد، نُشر ملخص لها في موقع لها أون لاين.

دعوية راسخة، وتمدّها بمرجعية موثوقة لاستشارتها، كما أن اهتمام هذه المعاهد بتأصيل المسائل المستجدّة يعطي حصانة للدارسة، ويقوّي من قوتها العلمية، ويزيد من ثقة المدعوات بها.

وبالتأكيد فإن الإطار المنهجي الذي يحكم هذه المعاهد سيكون له أثر بالغ على الدارسة؛ كونه يؤسس لتفكير مستقر ناضج منطلق من أصول ثابتة. إن الحاجة ماسَّة لظهور مؤسسات تكون مهمتها توفير البنى التحتية للمناهج الشرعية النسائية وتأليفها.

٢- تدريب الداعيات على الأسلوب الخطابي والحواري:

تعتبر الخطابة أحد أهم وسائل التأثير، وتحصيلها ممكن من خلال إقامة الدورات التدريبية المتخصصة في الخطابة، ووسائل التأثير، وطرق إقناع الناس، وإثراء المتدربات بالكتب والحقائب التدريبية، وتيسير وصول المتدربات من المدن والقرى، وكفالة السكن والمعيشة، للتشجيع على مثل هذه الدورات، كل ذلك من شأنه تعميق الثقة بالنفس، ويعطي دفعة إلى مزيد من الأنشطة المنبرية.

إن طبيعة المرأة المتأثرة بالجانب العاطفي، وميلها إلى الاستماع أكثر من القراءة يساعد على التخفيف من حدة تأثير الصحافة التي تتحكم بها النخب العلمانية، لذا فإن استراتيجيات الدعوة ينبغي أن تتضمن تركيزًا بارزًا على إنشاء (الصالونات النسائية)، وإقامة المناشط المنبرية في الكليات والمدارس والملتقيات النسائية والمجمعات التجارية. ومن تجارب محدودة فإن استجابة كبيرة ونجاحًا ملحوظًا نتج من خلال تأهيل مجموعة من الموهوبات لخوض مجال الدعوة بالخطابة.

٣- إنشاء مراكز بحوث ودراسات لإمداد المرأة بالمعلومات التي تفيدها في مواكبة العصر:

أصبح إنشاء مراكز البحوث المتخصصة في شئون المرأة حاجة ملحة، خاصة مع تعقد الأوضاع وتشابكها، وارتباط الأنشطة الموجهة للنساء بجوانب سياسية وثقافية تجعل من المهم اشتراك أكبر قدر من المختصين، بغرض التعرف على الواقع بشكل دقيق، ووضع إطار للعمل الدعوي النسائي شامل يفي بالاحتياجات، ويقوم بتعظيم الاستفادة من الموارد المتاحة. كما تساهم هذه المراكز في الدلالة على آليات جديدة من التواصل المعرفي والتأثير الفكري، وتتيح التواصل مع الباحثات في كل مكان، كما تساهم هذه المراكز في دراسة المسائل المستجدة في القضايا الدعوية النسائية، وتوفير المعلومات في وقت قياسي.

٤- تدريب الداعيات على استخدام التقنية الحديثة في التواصل:

إن استخدام التقنية الحديثة في تبليغ الدعوة أصبح مُسلَّمًا به؛ لذا فمن المهم على الداعيات إلى الله أن يكون لكل منهن موقع شخصي تتواصل فيه مع أقاربها وجيرانها وزميلاتها في العمل وصديقاتها، وعموم الناس تعليمًا وتعلُّمًا، ودعوة إلى الخير، وإجابة على أسئلة الناس، ووقوفًا معهم في مشكلاتهم الاجتماعية. كما أن إمكانية بثّ المحاضرات والدروس على الشبكة العنكبوتية يمثل فتحًا كبيرًا أمام الداعيات إلى الله لبثّ الدعوة إلى المسلمين وغيرهم أينما كانوا.

٥- المساهمة في رفع مستوى الداعيات الأكاديمي:

الشهادات العليا أصبحت مطلبًا للالتحاق بصفوف الداعيات البارزات والمؤثرات، وربما أيضًا في نيل التصريح الرسمي للمساهمة في الدعوة، لذا فمن المهم التعاون مع القائمات بالدعوة لنيل درجات عليا؛ عن طريق تسهيل شروط الالتحاق ببرامج الدراسات العليا كشرط التخصص، وسنة التخرج والعمر، ومن ذلك التواصل مع الناشطات الاجتماعيات والمثقفات والصحفيات وعضوات هيئة التدريس في الجامعات، بهدف بيان مهمتهن الحضارية في الدفاع عن القيم

والمبادئ، وتحميلهن المسـئولية، وشرح بعض الجوانب المرتبطة بمطالب مشروعة في ذاتها للمرأة.

٦- التفاعل العالمي:

في خطوة نحو إثراء الداعيـات بالمفاهيم العالمية، ولإكسـابهن الخبرة فـي الحـوار والمواجهة، يمكن ترشيح عدد من المشـتغلات في الدعوة للتدريس في جامعات عالمية وفق ضوابط شـرعية، ليتيسـر لهن فرصة الالتقاء بالناشطات في البلدان الأخرى، ولنقل الرسالة الدعوية إلى مجتمعات هي في أمسّ الحاجة إليهـا، خاصة تلك التي تنتشـر فيها البدع والمفاهيم المغلوطة عـن الدين، وتلك المسـتهدَفة من جماعات التنصير والرفض، خاصة في إفريقيا، والجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفييتي كطاجكستان، وألبانيا والبوسنة وغيرها.

كما أن إيجاد الفرص للنساء القائمات بالدعوة في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية للالتحاق بالدراسات الشرعية في الجامعات الإسلامية وكفالتهن ودعمهن بعد التخرج، مساهمةٌ كبيرة في توطين الدعوة .

ويأتي موسـم الحج ليمثل فرصة كبيرة لإكسـاب النسـاء الداعيات فرصًا لا تُحصَى مـن الاحتكاك بمثقفات وداعيات، من دول العالم المختلفة، واستغلال مواسـم تجمُّع الحجيـج لبثّ الدعـوة والتواصل مع حملات الحج وفق خطة مدروسة، ويمكن إنشاء مكتب متخصص في هذا المجال ليسـاعد في تحقيق ذلك، ويؤهـل الداعيات، ويتواصل مع مسـئولي الحملات لوضع البرامج المناسبة.

وتمثل الكتابة وسـيلة مهمة للتواصل مع القائمات بالدعوة في كل بلاد العالم، فالتجارب الموثقة والتقارير المفصلة تجعل من تكرار النجاحات أمرًا ممكنًا.

توصيات ومقترحات

بالإضافة لما تمت الإشـارة إليه من قبل فإنه يلزم التواصـي بالائتلاف والتعاون، ففـي عصر تتكاتف فيه الجهود للوقوف ضد الإسـلام ينبغي أن تتكاتف الجهود المسـلمة لدفعه، وتتعاون لنشـر دين الله في المعمورة، وفي هذا الإطـار ينبغي لمن تتحمل الدعوة إلى الله أن تحرص علـى الائتلاف والتعاون لتحقيق مقاصد الشـريعة لعمارة الأرض؛ فالاجتماع وتوحيد الكلمة بين الداعيات إلى اللـه من ألزم الضرورات، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾.

ونعـى الله على أهـل الكتاب تفرقهـم، واختلاف كلمتهم، بل عدَّ هذا من صفات المشركين الذين أُمرنا بمخالفة هديهم، فقال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . [آل عمران: ١٠٥]

ووجـود منهج واضح في قبول الخـلاف والتعامل معـه بعيدًا عن فرض الرأي بغير حجة من الله قائمة من أسـباب الاجتماع، قال تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[المائدة: ٢].

كما أن الالتفاف حول مرجعية واحدة في البلد الواحد، أو على الأقل القبول بمرجعية عند الاختلاف وتفاوت وجهات النظر، يعتبر أساسًا لجمع الكلمة، والاستعانة لتحقيق وحدة الصف بتعليم الناس الأصول والتفسير، والعناية بقلوبهم وصلاحهـا، والتعاون والتواصل مع المخالف قدر الاستطاعة، والإعراض عنه دون التثريب عليه عند عـدم القدرة على احتوائه، ومدافعته بأهل الخير عند استطالته وتعديه. كما ينبغي التواصل مع مرجعية المخالف لمعرفة سبل الاتفاق، فإن الأقران قد يختلفون غيرةً وحسدًا لا أصلاً ولا منهجًا. وقد وجدنا من ذلك كثيرًا في التاريخ الماضي والمعاصر.

ومن المهم كذلك إيجاد آليات للتنسيق وتوحيد الجهود الدعوية عبر الفضائيات من خلال مكتبٍ لتنسيق الجهود الدعوية للتقليل من التضارب أو التباين في الطرح، وتخفيف حدة تناقض الحلول المقترحة، وتوفير الجهود، وترتيب أوقات البث.

والأمر ذاته ينطبق على مواقع الإنترنت، وهي من أنفع الوسائل وأكثرها فائدة، فالموقع عبارة عن مكتبة ضخمة، وغنية جدًّا بالمعلومات عن الإسلام، معروضةٍ بالمجَّان للملايين من الناس، وبعدة لغات، يطَّلع عليها الناس في أي زمان ومكان. كما أنها تتيح التعبير عن الرأي بحرية.

وكذا يجب تنظيم الحملات الإعلامية التي تؤدي إلى بيان الحق ونصرته.

كما أن إنشاء المواقع الإلكترونية التي تُعنَى بالمرأة والأسرة، وتتناول الشأن العام بالبيان والتوجيه المنضبط بالضوابط الشرعية من أقوى وسائل نشر الخير، ومن أمتن ما يمكن الاعتماد عليه في بيان سبيل المجرمين والتحذير منها.

ومما يعين على وضع الاستراتيجية الاهتمام بالرسائل العلمية العالية ونشرها، والاهتمام الخاص بالإعلام الجديد الذي أصبح من أقوى وسائل الإعلام.

إن إشراك المرأة في وضع استراتيجيات الدعوة أمر محمود، وهو من أسباب إتقان الأعمال، نسأل الله أن يوفقنا جميعًا لما يحبه ويرضاه، ويجعلنا ممن أخلص نيته، وأصلح عمله.

المراجع:

١- تاريخ دمشق لابن عساكر «نسخة إلكترونية، موسوعة المكتبة الشاملة».

٢- راند: «خرائط وطرق» لصناعة شبكات إسلامية معتدلة واستراتيجيات لاختراق العالم الإسلامي.

٣- موقع لها أون لاين.

٤- الدكتورة حفيظة شقير، الاتفاقيات الدولية وحقوق المرأة في العالم العربي.

٥- مجلة الداعي الشهرية، الصادرة عن دار العلوم ديوبند الهند، عدد رمضان ١٤٢٩هـ.

٦- واقع المرأة الداعية في فلسطين.. حوار مع د. صبحي رشيد اليازجي.

٧- هندسة الدعوة، إصدار موقع دعوتها.

٨- مجلة الأسرة، عدد ١٠٤.

معلومات إضافية

نماذج من داعيات العصر النبوي

أفقه نساء الأمة، أم المؤمنين «عائشة بنت أبي بكر»:

بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، بن كعب بن لؤي؛ القرشية التيمية، المكية، النبوية، أم المؤمنين، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، أفقه نساء الأمة على الإطلاق.

تزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا، وقيل: بعامين. ودخل بها في شوال سنة اثنتين، منصرفه - عليه الصلاة والسلام- من غزوة بدر، وهي ابنة تسع.

فروت عنه علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه. وعن أبيها. وعن عمر، وفاطمة، وسعد، وحمزة بن عمرو الأسلمي، وجدامة بنت وهب.

حدَّث عنها عشرات من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ومن التابعين، ومسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث. اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين.

يقول صاحب سير أعلام النبلاء: «ولا أعلم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بل ولا في النساء مطلقًا، امرأة أعلم منها».

أم المؤمنين «أم سلمة»:

السيدة المحجبة، الطاهرة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة، المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، سيف الله؛ وبنت عم أبي جهل بن هشام.

من المهاجرات الأول. كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند أخيه من الرضاعة: أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح، دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم في سنة أربع من الهجرة. وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين.

كانت تُعدّ من فقهاء الصحابيات، ولها جملة أحاديث، ويبلغ مسندها ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثًا، واتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر حديثًا. وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر حديثًا.

روى عنها: سعيد بن المسيب، وشقيق بن سلمة، والأسود بن يزيد، والشعبي، وأبو صالح السمان ومجاهد، ونافع بن جبير بن مطعم، ونافع مولاها، ونافع مولى ابن عمر، وعطاء بن أبي رباح، وشهر بن حوشب، وابن أبي مليكة، وخلق كثير.

أم المؤمنين «حفصة بنت عمر»:

الستر الرفيع، بنت أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها من خنيس بن حذافة السهمي أحد المهاجرين، في سنة ثلاث من الهجرة.

روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث ومسندها في كتاب «بقي بن مخلد» ستون حديثًا. اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث. وانفرد مسلم بستة أحاديث.

روى عنها: أخوها ابن عمر، وهي أسنّ منه بست سنين، وحارثة بن وهب، وشتير بن شكل والمطلب بن أبي وداعة، وعبد الله بن صفوان الجمحي، وطائفة أخرى.

أم المؤمنين «ميمونة بنت الحارث»:

ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، الهلالية.

زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأخت أم الفضل زوجة العباس، وخالة خالد بن الوليد، وخالة ابن عباس، وكانت من سادات النساء.

روت عدة أحاديث، فلها سبعة أحاديث في «الصحيحين»، وانفرد لها البخاري بحديث، ومسلم بخمسة. وجميع ما روت ثلاثة عشر حديثًا.

حدث عنها ابن عباس، وابن أختها الآخر: عبد الله بن شداد بن الهاد، وعبيد بن السباق، وعبد الرحمن بن السائب الهلالي، وابن أختها الرابع: يزيد بن الأصم، وكريب مولى ابن عباس، ومولاها سليمان بن يسار، وأخوه: عطاء بن يسار. وآخرون.

العالمة الفقيهة «أم الدرداء الصغرى»:

السيدة العالمة الفقيهة، هُجَيْمَة -وقيل: جهيمة- الأوصابية الحميرية الدمشقية، وهي أم الدرداء الصغرى.

روت علمًا جمًّا عن زوجها أبي الدرداء، وعن سلمان الفارسي، وكعب بن عاصم الأشعري، وعائشة، وأبي هريرة، وطائفة.

وعرضت القرآن وهي صغيرة على أبي الدرداء. وطال عمرها، واشتهرت بالعلم والعمل والزهد.

حدث عنها جبير بن نفير، وأبو قلابة الجرمي، وسالم بن أبي الجعد، ورجاء بن حيوة، ويونس بن ميسرة، ومكحول، وعطاء الكيخاراني، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وزيد بن أسلم، وأبو حازم الأعرج، وإبراهيم بن أبي عبلة، وعثمان بن حيان المري.

قال مكحول : كانت أم الدرداء فقيهة.

وعن عون بن عبد الله، قال: كنا نأتي أم الدرداء فنذكر الله عندها.

وقال يونس بن ميسرة: كانت النساء يتعبدن مع أم الدرداء، فإذا ضعفن عن القيام، تعلقن بالحبال.

قال إسماعيل بن عبيد الله: كان عبد الملك بن مروان جالسًا في صخرة بيت المقدس وأم الدرداء معه جالسة، حتى إذا نودي للمغرب قام، وقامت تتوكأ على عبد الملك حتى يدخل بها المسجد، فتجلس مع النساء، ويمضي عبد الملك إلى المقام يصلي بالناس.

وعن يحيى بن يحيى الغساني، قال: كان عبد الملك بن مروان كثيرًا ما يجلس إلى أم الدرداء في مؤخرة المسجد بدمشق.

خطيبة النساء «أسماء بنت يزيد»:

أســـماء بنت يزيد بن الســـكن الأنصارية، ابنة عم معاذ بن جبل، وكانت تسمى -أيضًا- «فكيهة»، وتُكنى بـ «أم سلمة» أو «أم عام الأشهلية».

من المحدثات الفاضلات ومن ذوات العقل والدين والخطابة حتى لُقِّبت بخطيبة النساء.

روت عـــن النبي صلى الله عليه وســـلم عددًا ليس بالقليل من أحاديثه، كمـــا روى عنها العديد من الصحابة والتابعين، وروى عنها الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه.

كانت من النسوة اللاتي بايعهن رسول اللَّه (يوم الحديبية). تقول: إن رسول اللَّه قبض يده وقال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة، أو مثل قولي لامرأة واحدة» [رواه الترمذي والنسائي].

كانت عند رسول اللَّه (والرِّجال والنِّساءُ قُعُودٌ معه، فقال: «لعل رَجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعلَّ امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها». فســـكتوا فقالتْ: إي واللَّه يا رسول اللَّه، إنَّهم ليفعلون وإنهن ليفعلْنَ. فقال: «فلا تفعلوا، فإنما مَثَلُ ذلك مَثَلُ شيطان لقي شيطانة فغشيها (أي: جامعها) والناس ينظرون» [رواه أحمد].

وقد شـــهدت «أسماء» مع رســـول اللَّه (فتح مكة، ثم امتد بها العمر حتى شهدت موقعة اليرموك سنة خمس عشرة من الهجرة. ويُقال: إنها قتلت من الروم تسعة بعَمود فُسطاطها (خيمتها).

الفقيهة العالمة «صفية بنت شيبة»:

صفية بنت شـــيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عبد الدار بن قصي بن كلاب، الفقيهة العالمة أم منصور، القرشية العبدرية المكية الحجبية.

وهي راوية من راويات الحديث الثقات، روت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في سنن أبي داود، والنسائي، وهذا من أقوى المراسيل، وروت عن: عائشة، وأم حبيبة، وأم سلمة، أمهات المؤمنين، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أسماء بنت أبي بكر وأم عثمان بنت سفيان وغيرهن.

حدث عنها: ابنها منصور بن عبد الرحمن الحجبي، وسبطها محمد بن عمران الحجبي، والحسن بن مسلم بن يناق، وإبراهيم بن مهاجر، وقتادة، ويعقوب بن عطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبد الرحمن بن محيصن الســـهمي المقرئ، والمغيرة بن حكيم وعبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور وغيرهم.

قال يحيى بن معين : أدركها ابن جريج ولم يسمع منها، وذكرها ابن حبان في ثقات التابعين.

المصادر:

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، نسخة إلكترونية:

http://www.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=1&idto=6536&lang=A&bk_no=60&ID=1

الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، نسخة إلكترونية:

http://www.al-eman.com/Islamlib/viewtoc.asp?BID=397

موسوعة الأسرة المسلمة الإلكترونية:

http://islam.aljayyash.net/encyclopedia/book-14-39